الأبعاد التربوية والتعليمية للنص الأدبي في الثانوي الإعدادي بالمغرب

الثانية إعدادي نموذجا

الدكتور عبد العزيز آيت الشاري

باحث في اللغة العربية وآدابها

المغرب

الملخص :

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الأبعاد التربوية والتعليمية للنص الأدبي في سلك الثانوي الإعدادي، وبخاصة مستوى الثانية إعدادي، نظرا لما تحمله هذه النصوص من مبادئ وقيم يتشبع بها المتعلم التواق إلى تذوق النص الأدبي وفق رؤيته الخاصة للمجال الذي تنتمي إليه تلك النصوص الإبداعية، باعتبار المتعلم قارئا نموذجيا للنص يعبئ قدراته ومهاراته التي اكتسبها في علاقته بفعل القراءة والإقراء، وفي تفاعل مع منهجية المدرس والعارف بأسرار الأدب وآليات تلقيه والحكم عليه، وستنطلق هذه الورقة من سؤال إشكالي مفاده، كيف يتلقى المتعلمون النصوص الإبداعية بهذا السلك، وما الأثر الذي تخلفه في ذاكرتهم ونفسيتهم سيما أنها صادرة عن كتاب وأدباء قدموا للعربية الشيء الكثير؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة كثيرة من مثل : ما الآليات والطرائق المعتمدة في تحليل النص الأدبي؟ وما هي مواصفات المدرس والأستاذ للأدب بهذا السلك؟ وهل النص الأدبي بخير في هذا السلك؟

تقديم :

تعتبر مرحلة التعليم الثانوي الإعدادي محطة هامة في مسار المتعلم، فهي التي تعده لمراحل لاحقة في مساره التعليمي، ولذلك فهي حلقة وصل بين الابتدائي والتأهيلي، يسعى المتعلم إلى تطوير قدراته اللغوية والتي تسعفه للتواصل الكتابي والشفهي وخاصة في العلوم الإنسانية التي تهدف إلى فهم كينونة الإنسان ونفسيته ولغته وتاريخه وقيمه ودينه، إلى غير ذلك من القضايا التي تشغل بال الإنسان، وعلى هذا الأساس يسعى منهاج اللغة العربية في هذا السلك بالمغرب خاصة إلى انتقاء الموضوعات والنصوص التي ترسخ في المتعلم كفايات وقيما ومبادئ في علاقته باللغة الوسيلة التي يتواصل بها الإنسان، فالإنسان موجود باللغة يعبر عن أحاسيسه ومشاعره باللغة، بل تسكنه اللغة ويسكن اللغة لا المباني، ولذلك فكل الدول تسعى إلى الارتقاء بلغتها لتكون لغة الإبداع والفكر يشيدون بها قصورا من المعاني والنصوص، وحينما يضبط الإنسان لغة ما فهو بشكل ضمني يضبط فكرها وثقافتها وبنيتها الاجتماعية والنفسية والإديولوجية.

وقد لحق هذا المنهاج تغييرات وإصلاحات منذ أن استقل المغرب سعيا إلى ضبط مجالاته ونصوصه وطريقة تدريس اللغة العربية باعتبارها لغة رسمية في البلاد، وباعتبارها لغة الإبداع والفكر والتفلسف والتأريخ ولغة القرآن دستور المسلمين، ولغة التخاطب في اللقاءات الرسمية في أنحاء متعددة، إلا أن تدريسها وتطويرها لا زال يعرف قصورا ونكوصا لأسباب متعددة، يتحمل فيها كل الفاعلين التربويين جزءا من المسؤولية جيلا بعد جيل.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد برز في ميدان اللغة والفكر والإبداع أعلام وكتاب تلقوا نفس المنهاج ونفس المسار التعليمي بالبلاد، ساهم في ظهورهم أساتذة كرسوا حياتهم لهذه اللغة الشريفة تدريسا وتأليفا وتكوينا سواء في الجامعات المغربية أو مراكز التكوين التي يشرف عليها دكاترة مبرزين بصموا أسماءهم في البلاد لا يسمح المقام لسرد أسمائهم فمؤلفاتهم شاهدة عليهم.

بناء على ذلك دفعني حبي لهذه اللغة منذ أن وعيت شجاعتها والتي تجلت في النص الديني حينما كنت تلميذا في الكتّاب أتلقى آيات القرآن ، إلى أن انخرطت في التعليم الرسمي تلميذا يطلق العنان لمخيلته من أجل كتابة نصوص إنشائية تعتبر في حد ذاتها أعمالا أدبية يقومها الأستاذ المشرف على القسم باعتباره ناقدا لها ، وعبره اشتغلت أستاذا في السلك الثانوي الإعدادي إلى الآن، أقول دفعني كل ذلك إلى كتابة هذه الورقة البحثية حول الأبعاد التربوية والتعليمية للنص الأدبي بالثانوي الإعدادي، لكوني وقفت عند مستويات تدريس اللغة وآدابها محاولا التجديد في قراءة النص الأدبي الذي يحمل في داخله تجارب وثقافة ورؤية الأديب أو الشاعر إلى الكون والحياة، بل يحمل النص ذاته منعزلا عن مؤلفه بنيات وعلامات تحتاج إلى إعمال التأويل حينما يصادف هذا النص ناقدا وقارئا نموذجيا بتعبير امبرتو ايكو، والسعي إلى ضبط القراءة المنهجية للنصوص الأدبية وفق البيداغوجيات الحديثة في تمازج مع النظريات التي تهتم بفعل القراءة والإقراء للعمل الأدبي الذي يفتح آفاقا لا متناهيا للتأويلات، ولاسيما تأويل المتلقي المتعلم الذي يولد من خلال تمثلاته للحياة والمجال الذي تنتمي إليه تلك النصوص، وللوسط الثقافي الذي يعيشه.

من هنا يمكن طرح إشكالية هذه الورقة البحثية على النحو التالي : **كيف يساعد النص الأدبي في ترسيخ ملكة الإبداع والنقد لدى المتلقي المتعلم في السلك الثانوي الإعدادي بالمؤسسات التعليمية بالمغرب** ؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة من مثل : ما أثر التربية والقيم على عقلية المتعلم المغربي من خلال تلقيه للنص الأدبي؟ وما هي الآليات التي تعتمد في دراسة هذا النص من قبل الفاعلين التربويين؟ وهل الأدب في هذه المرحلة الدراسية بخير أم أنه يعرف إكراهات وصعوبات؟ . هذا ما ستحاول هذه الورقة الإجابة عنه انطلاقا من المحاور التالية :

المحور الأول : تعريف النص الأدبي:

المحور الثاني : الأبعاد التربوية والتعليمية للنص الأدبي في السنة الثانية إعدادي :

1. البعد الديني للنص الأدبي :
2. البعد الوطني والإنساني للنص الأدبي :
3. البعد الحضاري والثقافي للنص الأدبي :

المحور الثالث : تطوير مهارات تذوق النص الأدبي والحكم عليه من قبل المتعلمين

خلاصة وتوصيات

المحور الأول : تعريف النص الأدبي:

قبل الحديث عن معنى النص الأدبي وخصائصه الجمالية نتساءل ما النص؟ ومتى يكون النص نصا ؟ وما الفرق بين النص واللانص؟ وما النص الأدبي ؟.

جاء في لسان العرب في مادة (نصص) ما يلي : " النص : رفعك الشيء. ونص الحديث ينصه نصا: رفعه.. ونص كل شيء منتهاه.."[1]. ويقال : بلغ الشيء نصه، وبلغنا من الأمر نصه : شدته"[2]. يستفاد من هذه التعريفات اللغوية أن كلمة النص تتضمن معنى الرفع والانتهاء في شيء ما، وإذا ما ربطناه بالنص الذي نبتغي تحليله، فالكاتب يسعى لكي يكتب شيئا وينتهي منه ويرفع إلى ناقد متبصر يرفع من قيمته أو ينال منه.

وقد عُرف النص تعريفات كثيرة تحمل في داخلها خلفيات وتصورات صاحبه منذ القديم إلى الآن كل دارس يسعى إلى الإحاطة بدلالاته المتباينة، يتساءل الناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو عن معنى النص فيجيب قائلا : " أول ما نلاحظ أن كلاما ما لا يصير نصا إلا داخل ثقافة معينة..لأن الكلام الذي تعتبره ثقافة ما نصا قد لا يعتبر نصا من طرف ثقافة أخرى ."[3]، يتبين من خلال هذا الكلام أن النص مرتبط بثقافته التي أفرزته وهو مجموع الأفكار والثقافات التي يبثها كاتب ما في نصه، ثم يفرق كيليطو بين النص واللانص، فما دام هناك نص فلا بد أن يقابله نقيضه، " فمثلا هل نعتبر المكالمة الهاتفية نصا؟ هل الحوار اليومي المتقطع نقول إنه نص ؟"[4]، وعلى هذا فليس كل كلام يعد نصا مكتوبا أو شفهيا، وإنما تحدده ضوابط ومعايير منطقية لكي يدخل في خانة النصية، يقول الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن معرفا النص في هذا السياق : "كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات ."[5]

وحينما نضيف الأدب إلى النص ليصير نصا أدبيا فإننا أمام نسق محبوك يصدر عن أديب أو شاعر كانت تقام له الدنيا حينما ينبغ شاعر عند العرب، وعلى هذا فالنص الأدبي هو مجموع الألفاظ والمعاني التي تنتظم في بناء السمة الأساسية فيه هو " السبك والحبك، أو الالتحام والالتئام"6، وما دام كذلك فإنه " يخشى عليه من الضياع ..لا يدون فقط بل يحرص على تعليمه، فالمقررات المدرسية والجامعية لا تتضمن إلا الأقوال التي تعتبر نصوصا أي الأقوال التي يجب الأخذ بها، والاستشهاد بها، والنسج على منوالها، والعمل بمقتضاها."[7].

نستنتج إذن أن النص الأدبي يحمل في داخله ثقافة الأديب ورؤيته للعالم يحتاج إلى دربة لغوية وفكرية لكي يتنافس في وجوده ونشره بين الناس، وما النصوص الأدبية التي يحويها مقرر اللغة العربية في جميع المسالك الدراسية لدليل على قوة تلك النصوص وما تحملها من قيم ومبادئ القارئ الحاذق هو من يصل إليها. فما الأبعاد التربوية والتعليمية التي ترسخها النصوص الأدبية في السلك الإعدادي بالمغرب؟ هذا ما ستحاول الصفحات أسفله الإجابة عنه.

المحور الثاني : الأبعاد التربوية والتعليمية للنص الأدبي في السنة الثانية إعدادي :

إن الغاية الأسمى للأدب بعامة تتجلى في إيصال القيم الراقية والتصورات الذاتية والكونية التي تشبع بها هذا الأديب أو ذاك إلى المتلقي، فإن اللجوء إلى نظم الشعر مثلا هو لجوء بالضرورة إلى انتقاء أجود الكلمات والصور الفنية للتعبير عن فكرة أو شيء يثير الانتباه، يستميل القراء على اختلاف مذاهبهم وانتماءاتهم، وذلك عبر الاعتماد على آليات لغوية وتخييلية كثيرة تتشكل في ذهنية الشاعر قبل إخراجها في شكل قصيدة متماسكة مختلفة عن أنساق القصائد التي أُنتجت من قبل؛ ليكون شاعرا متفردا بأسلوب ونمط مغاير يحاكي بها موضوعات عصره، وهذا ينطبق على كل النصوص الأدبية التي يراد تعليمها ودراستها في كل الأسلاك التعليمية، والإعدادية على وجه الخصوص، ذلك أن انتقاءها ووضعها في المقرر الدراسي له غايات وأبعاد كثيرة، تحتاج إلى متمرس في الأدب لكي يفك مغاليقها ويناقش موضوعاتها مع المتعلمات والمتعلمين لاستخراج كنوزها والنسج على منوالها، أو كتابة ما هو أجود منها انطلاقا من وعي القارئ المتعلم الذي ينظر إلى الكون والحياة رؤية مغايرة، لاسيما في ظل التحولات المجتمعية والثقافية التي تفتح شهية المتعلم نحو الإبداع، وقد تعددت الأبعاد التربوية والتعليمية للنص الأدبي في هذا السلك تبعا لما هو مبثوث في المقرر الدراسي.

1. البعد الديني للنص الأدبي :

يسعى منهاج اللغة العربية في السلك الإعدادي إلى ترسيخ قيم الدين الإسلامي السمحة، والدعوة إلى توحيد الله تعالى والإيمان به وبرسله والملائكة واليوم الآخر، ونشر الحق والعدالة والأمانة والصدق وغيرها من القيم الدينية المنبثقة " عن المذهب المالكي"[8] ، لكون المغرب يأخذ من هذا المذهب بإجماع العلماء، وهذا يظهر من خلال النصوص التي جمعت في الوحدة الأولى (مجال القيم الإسلامية) من مقرر الثانية إعدادي الموسوم ب " المرجع في اللغة العربية"، وهي نصوص أدبية ومقالات تروم التعريف بالعقيدة الإسلامية وأخلاقها الحميدة، وسنكتفي بالإشارة إلى نصين أدبيين وأبعادهما الدينية وهما : النص الشعري للشاعر المصري حافظ إبراهيم عنوانه : " ذكرى الهجرة "، ونص للأديب المصري الكبير مصطفى صادق الرافعي عنوانه :" قرآن الفجر ".

أ- ذكرى الهجرة9 :

هو نص شعري عمودي للشاعر حافظ إبراهيم يتغنى بذكرى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة مع أصحابه في موكب مهيب يصوره الشاعر بلغة رصينة تجمع بين ألفاظ الشعر العربي القديم والحديث، يقول مثلا [10]:

أطلَّ على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

وبشرهم من وجهه وجبينه وغرته والناظرين مبشر

يماشيه جبريل وتسعى وراءه ملائكة ترعى خطاه وتخفر

فكان على أبواب مكة ركبه وفي يثرب أنواره تتفجر

يسترجع هذا النص حدثا تاريخيا مهما في ذاكرة المسلمين، وهو الهجرة من مكة إلى المدينة بغية نشر الدين الإسلامي من قبل قائد الأمة محمد عليه الصلاة والسلام، ويهدف هذا النص إلى تشبع المتعلم بقيم هذا الدين، والدعوة إلى معرفة سيرة النبي الكريم، والإكراهات التي لقيها أثناء نشر رسالته السماوية دستورها القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد صاحب هذا النص صورة للهلال والنجوم والسماء والظلام، وهي صورة تحمل علامات سيميائية، يستعمل فيها المتعلم ذهنه المتوقد لإبراز العلاقات بين مكونات هذه الصورة، والتي تجلت في صورة الرسول الهلال والقمر المنير، ونجوم الإسلام صحابة رسول الله، كما يشير الظلام إلى الجاهلية التي يريد

الرسول إخراج المسلمين منها، وعليه فالنص حمال لعلامات وأبعاد قيمية وتربوية تساعد المتعلم على تكوين صورة حول دينه ولغته وتاريخه.

ب- قرآن الفجر [11]:

هذا النص مقتطف من سيرة ذاتية للكاتب المصري مصطفى صادق الرافعي الذي ذاع صيته بين المثقفين العرب لأنه رائد من رواد الأدب والنقد والفكر والذي لقي ردودا وصراعات مع كتاب عصره، أبرزهم العقاد وطه حسين[12]، يروي هذا الأديب في هذا النص مرحلة هامة في حياته وهي مرحلة الطفولة حينما كان متعلقا بالقرآن والمسجد يقول في هذا الصدد : " كنت في العاشرة من عمري وقد جمعت القرآن كله حفظا، وجودته بإحكام القراءة "[13]، يشي هذا الكلام بقوة ذاكرة هذا الأديب الذي حفظ القرآن وما يرتبط به في سن مبكرة، الشيء الذي مكنه من تطوير ملكته الفكرية والنقدية فيما بعد، وظل حريصا على أن يدافع عن الدين الاسلامي حتى أنه " أولى بتسمية الأديب المجدد، لأن إنتاجه أصيل يستحضر القيم والمعاني والأساليب المناسبة لمجاله التداولي العربي.."[14]، وبالنظر إلى أهمية هذا النص في علاقته بالمتعلم في هذا السلك فإنه يحاول أن يرسخ في ذهنه الابتكار والتجديد، والابداع، بله الاعتناء بكتاب الله، وذلك بحفظه، والعمل بمقتضياته وآياته الكريمة، لكن أي قرآن ؟ إنه قرآن الفجر حيث يشعر " عند اختلاط آخر الظلام بأول الضوء شعورا نديا كأن الملائكة قد هبطت تحمل سحابة رقيقة، تمسح بها على قلبه ليتنضر من يبس ويرق من غلظة.."[15]. وهذا الوقت يدفع بالمتعلم إلى النهوض باكرا للعبادة والعمل، النص إذن تربوي هادف وتعليمي بالأساس، يغني رصيد المتعلم اللغوي من جهة لأنه كتب بلغة بيانية عميقة، ومن جهة ثانية يرسم مسارا للمتعلم حافلا بالإنجازات والإبداعات.

2. البعد االوطني والإنساني للنص الأدبي :

كانت قضية الوطن ومأساة الشعب من القضايا التي تأسر بال كثير من الشعراء والأدباء منذ القديم، فالشاعر هو لسان القبيلة والقوم يحاكي بطولات وانتصارات شعب ضد الاستعمار أو الظلم أو غير ذلك، يسجلونها في قصائدهم وأبيات اتخذها الثوار مثلا شعارات لمعاركهم فقد قال أبو القاسي الشابي :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر[16]

وقال المتنبي :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود[17]

وغيرها من الأشعار التي تغنى بها الشعراء في قصائدهم دفاعا عن أوطانهم من الاستعمار والظلم والاحتلال ولنا في محمود درويش نموذجا يحتذى به في التعريف بالقضية الفلسطينية إلى أن وافته المنية، وعلى هذا الأساس يسعى هذا المجال ضمن منهاج اللغة العربية الموسوم بالقيم الوطنية والانسانية إلى زرع حب الوطن في نفوس المتعلمات والمتعلمين وذلك من خلال تذوقهم للنص الأدبي الذي يحمل في داخله قيما إنسانية ووطنية نبيلة تجلت في معرفة الحقوق والواجبات اتجاه الوطن خدمة له وللصالح العام، نقف بذلك عند نص شعري يعرف بوطننا المغرب وتاريخه ومآثره التاريخية وذاكرته الجماعية، وهو نص لم يكتبه مغربي وإنما كتبه شاعر ينتمي إلى شمال إفريقيا، أي من ليبيا، وهو الشاعر حسن السوسي ومن بين الأبيات التي تجعل المتعلم مرتبطا بوطنه قول الشاعر[18] :

هذا الجمال الفذ يأسر خاطري هذي ربوع المغرب الفينان

الأطلس العملاق شماخ الذرى بالمنتمين إليه بالفرسان

والشاطئ الممراح ينضح فتنة برماله الذهبية الألوان

والحسن يلقي في العيون شباكه فيصيد كل متيم ولهان

وهنا منائر فاس تهدي في الدجى بشعاع نور العلم والايمان

افتتحت هذه القصيدة بالجمال وانتهت بالجمال، جمالية المغرب وجمالية القصيدة، فالمتعلم قد يزور مدنا داخل المغرب ولكن حينما يراها في نص شعري وفي قالب لغوي مليء بالتمثيل والخيال يزداد حبه لوطنه، ويتشوق لرؤية المآثر التاريخية التي اتخذها موضوعا له.

هذه القصيدة ليست نصا لغويا فحسب، بل هي درس في الجغرافيا والتاريخ، تاريخ المغرب الذي اجتمعت فيه اثنيات وأعراق وديانات، ومنارات للعلم والثقافة والعمران.

فقول الشاعر مثلا[19] : " **الأطلس العملاق شماخ الذرى**..، هو دعوة صريحة للمتعلم كي يعرف تاريخ الأطلس (الجبل) الذي لم يستطع المستعمر الوصول إليه، فهو سور الصين العظيمة الطبيعي، والانسان المغربي يمتلك ثقافة جبلية بامتياز، الطعام والعادات والتقاليد كلها من وحي الجبل. إن النص الشعري يحمل بعدا وطنيا صريحا وضمنيا تجلى في الأعلام والشخصيات التاريخية التي ساهمت في بناء هذا الوطن، وهو دعوة المتعلم للاقتداء بها لرفع راية المغرب في مجالات عديدة.

3. البعد الحضاري والثقافي للنص الأدبي :

إن كل أمة تفتخر بما وصلت إليه من اختراعات واكتشافات وإنجازات تدخل في حيز الحضارة، فلا وجود لأمة بدون حضارة وثقافة، ومنذ القديم وشعوب تأخذ من شعوب أخرى حضارتها وتقلدها في منجزاتها وثقافتها، إلا أن هناك فرقا بين الحضارة والثقافة، فالأولى يدخل فيها كل ما أنتجه الانسان من أشياء مادية شاهدة على العصر وهي سريعة الانتقال من مكان إلى آخر، بينما الثقافة بطيئة الانتقال لكونها مرتبطة بعادات وتقاليد وأفكار أمة دون أخرى.

ومادام الأمر كذلك فإن النصوص التي يحويها مقرر اللغة العربية بهذا السلك يسعى إلى إكساب المتعلم هذا التفاعل بين الحضارات منذ الأزل، والتعريف والاعتزاز بها، ومن بين هذه النصوص، قصيدة شعرية للشاعر السوري الكبير نزار قباني حيث يقول فيها[20] :

في مدخل الحمراء كان لقاؤنا ما أطيب اللقيا بلا ميعاد

غرناطة وصحت قرون سبعة في تينك العينين بعد رقاد

وأمية راياتها مرفوعة وجيادها موصولة بجياد

ما أغرب التاريخ كيف أعادني لحفيدة سمراء من أحفادي

ودمشق أين تكون؟ قلت: ترينها في شعرك المنساب نهر سواد

في وجهك العربي في الثغر الذي مازال مختزنا شموس بلادي

يا ليث وارثتي الجميلة أدركت أن الذين عنتهم أجدادي

يستعيد الشاعر السوري في هذه القصيدة تاريخ المسلمين في الأندلس من خلال مهمة دبلوماسية قام بها في مدينة غرناطة الاسبانية، وقد رافقته مرشدة سياحية ترشده إلى قصر الحمراء هناك، فرأى في تفاصيلها وملامحها امرأة عربية وحفيدة من أحفاد بني

أمية حينما حكموا الأندلس في ذلك الوقت، وألهمته لكتابة هذا النص بأسلوب وتصوير فني عميق، وهو المشهود له بالدفاع عن القومية العربية والاسلامية من خلال أشعاره التي انتشرت في الآفاق، النص الشعري إذن عودة إلى الأمجاد لأخذ العبر منها، ومن غريب الصدف أن المتعلمين الذين أشرف على تأطيرهم يدرسون بمؤسسة تحمل اسم طارق بن زياد فاتح الأندلس كما دون في التاريخ، ولذلك فهذه القصيدة فرصة لمعرفة المتعلم هذه الحضارة الإسلامية التي عمرت طويلا في بلاد الأندلس، والعمران الذي شيده أجدادنا حيث بقي شاهدا على العصر، قال نزار قباني :

الزخرفات أكاد أسمع نبضها والزركشات على السقوف تنادي

وهو بيت يفتح مخيلة المتعلم نحو تأمل فن العمارة الاسلامية من خلال البنايات الدينية والثقافية منذ ذلك الوقت إلى الآن.

المحور الثالث : تطوير مهارات تذوق النص الأدبي والحكم عليه من قبل المتعلمين:

إن المتعلم بهذا السلك وخاصة متعلمي الثانية إعدادي قد اكتسبوا مهارات خلال السنوات السابقة في تعاملهم مع النص الأدبي الذي يفتح لهم شهية فهمه وتذوقه، وهم بذلك راكموا تجربة ليست هينة في الاحتكاك بالنص شعرا ونثرا، وهم مطالبون بتنمية الحس الذوقي والانطباعي حول هذه الأعمال والحكم عليها من خلال نقد بناء مبني على تصورات المتعلم حول الكون والحياة " والارتقاء بذوقهم ودفعهم إلى اتخاذ مواقف أيجابية"[21]، وهذا من مهمة الأدب ودوره في نفوس هؤلاء الصغار الذين يسعون إلى إعمال العقل في تأويل النص وتفسيره، فإن كانوا فيما مضى يقرأون النص قراءات عابرة، فإنهم مطالبون في هذه المرحلة بالفهم والتحليل ومناقشة موضوعات هذه النصوص وإبداء الرأي حولها من خلال تفاعلهم مع الأستاذ العنصر المحوري في هذه العملية، فالمتعلمون ليسوا نقادا وليست لهم معرفة كافية بآليات تحليل النص، ولكن منهجية التدريس وطرقه والأسئلة التي يتفضل بها الأستاذ لتقريب المعاني الضمنية والصريحة إلى ذهن المتعلم هي الضامن نحو الوصول إلى قراءات منتجة للنص الأدبي، وليس المقصود طرح أسئلة تعجيزية وإنما صياغة أسئلة بأسلوب يتساوق وعقلية المتعلم، وتحفيزه نحو الكلام وإبداء الرأي واستخراج المخبوء من النصوص وكثيرا ما يبهرك ذوو المخيال والذاكرة وأليات الوصف والمقارنة والتحليل بأجوبة لم تكن لتخطر على بال أستاذهم.

إلا أن تدريس النص الأدبي يطرح صعوبات وإكراهات[22] نظرا لأنه حمال لرؤى نفسية واجتماعية وإديولوجية وثقافية، يحتاج أولا من الأستاذ التمكن من مناهج تحليل النص لغوية أو شعرية أو أسلوبية أو تداولية..وتيسيرها بنقلها من معرفة عالمة إلى معرفة ميسرة للمتعلم، والتمكن من ناصية اللغة لأن المتعلم يتأثر بلغة أستاذه لاسيما إن كانت فصيحة ورصينة وسلسة بعيدة عن التعقيد اللفظي أو المعنوي، والأستاذ نفسه نتيجة لتكوينات لأساتذته الذين درسوه من الابتدائي إلى الجامعة، لكن يضفي على تلك التكوينات لمسته الفنية وقراءاته المتعددة، ولذلك فهو مدعو إلى توجيه المتعلم نحو قراءات فردية خارج الفصل الدراسي لكي يتفرد بأسلوبه الخاص وقد قيل " الأسلوب هو الرجل " لكن في إطار التدرج باعتباره " آلية تربوية معلومة، إذ يراعى فيها مستوى فهم المتعلمين، وقدراتهم وسنهم، وظروف نفسية أخرى "[23].

ومن أجل تحيقي هذه الغاية والتي تتجلى في تنمية الذوق الفني عند المتعلم وفهم جمالية النص الأدبي من خلال الوقوف عند التعابير والصور الفنية وتأويلها والكشف عن العلاقات بين عناصرها، فلا يجب على الأستاذ أن يصل بالمتعلم مثلا إلى أن الشاعر يشبه الشيء بالشيء وإنما المطلوب منه إبراز العلاقات والدلالات الناتجة بين عناصر التشبيه أو الاستعارة، أو غيرها من الأساليب والصور الفنية التي يطفح بها كثير من النصوص الابداعية في منهاج اللغة العربية، أضف إلى ذلك تبني المدرس لطرق وأساليب كثيرة نذكر منها :

– قراءة النص قراءة جهرية ودالة محترمة لقواعد النحو والصوت، ويفضل أن يبدأ المدرس بقراءة النص كي يحذو المتعلمون حذوه في التلوين الصوتي الدال.

– العناية بالسياق الذي ظهر فيه النص ومصدره وما يحمله من معاني متباينة غالبا ما تكون لها علاقة بمعنى النص في شموليته.

– أن لا يستولي الأستاذ عن النقاش وتحليل النص دونما إشراك المتعلم، بل يجب توجيههم وإرشادهم عبر لمحات دالة تجعل المتعلم يثق في نفسه ويبدع نقدا ثانيا هو بمثابة إبداع ثان للنص الأدبي.

– أن يربط الأستاذ النص الأدبي بواقعهم لأن الأدب انعكاس للمجتمع وتصوير له، وبالتالي فربط النص بسياقه وواقعه يجعل قيمه ومبادئه مترسخة في عقلية المتعلم للعمل بمقتضياته.

خلاصة وتوصيات:

وختاما إن منهاج اللغة العربية ألفه أساتذة يعرفون معنى الأدب وغاياته أهمها أنه يجعل الإنسان يعيش حيوات وعوالم عدة، خلقها كتاب وأدباء وشعراء فهموا الحياة وفهموا النفس البشرية المعقدة، فالأديب يمزج بين تجاربه وتجارب الآخرين في نصه الذي يوجد بين دفتي الكتاب المدرسي أو أعمال هذا الأديب أو ذاك، وهو نص يحتاج إلى مدرس كفء يفك مغاليقه وشفراته بمعية متعلميه الذين يعتبرون قراء مقصودين يعول عليهم في فهم هذه الأعمال والحكم عليها بالجودة أو الرداءة، وفق قواعد وضوابط تجد صداها في المنهجيات والطرائق التي تحلل بها النصوص، وهي طرائق عالمة تمت أجرأتها في شكل مراحل موجودة في الكتاب المدرسي نفسه، أو في التوجيهات التربوية التي تلقاها أساتذة اللغة والأدب بهذا السلك.

ولا يفوتنا المقام للإدلاء بملاحظة نراها ضرورية في علاقتنا بالكتاب المدرسي الذي رافقنا منذ أن التحقنا بهذا السلك، مفادها : أن مراجعة هذه المقررات وتحديثها أضحى ضرورة قصوى، سيما وأن التحولات المجتمعية تدفع إلى تحيين تلك النصوص الإبداعية، على أن تحل محلها نصوص ذاع صيتها عربيا ومحليا، أو إقحام نصوص قوية تجعل المتعلمين يكتبون نصوصا قوية في المراحل اللاحقة من تعليمهم.

الهوامش:

1 – ابن منظور: لسان العرب، دار صدار، بيروت، لبنان، ط 1، 1990مج ، 7مادة (ن.ص.ص)، ص96.

2 – مجمع اللُّغة العربية، المعجم الوسيط، مؤسسة طباعتين للتأليف والقراءة، إسطنبول، تركيا، ط 4، 1989، ص 926.

3 – عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغرابة دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، ط7، 2010، ص 16

4 – الأدب والغرابة، ص 17.

5 – طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط 2، 2000 ، ص 35.

6 – عبد الجليل هنوش، النص : البيان والبنيان، في التشكيل البلاغي للنص الشعري،ج1، فضاء آدم للنشر والتوزيع، ط1 2020، ص 52

7 – عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغرابة، ص 18.

8 – البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بسلك التعليم الثانوي الإعدادي، مادة اللغة العربية، غشت 2009، مديرية المناهج والحياة المدرسية، ص 11.

9 – المرجع في اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، الدار المغربية للكتاب، ص 36.

10 – ديوان حافظ إبراهيم، دار صادر بيروت، ط1، 1989، ص 303– 304.

11 – المرجع في اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، الدار المغربية للكتاب، ص 30.

12 – للتفصيل أكثر في الصراعات بين الرافعي والعقاد وطه حسين، يرجى الرجوع إلى كتاب للدكتور عبد الجليل هنوش، وسمه : ب مصطفى صادق الرافعي، نظراته النقدية ومعاركه الأدبية.الصادر عن فضاء آدم للنشر والتوزيع، 2020.

13 – مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج3، دار الكتاب العلمية، ط1، 2000، ص 23.

14 – د.عبد الجليل هنوش، مصطفى صادق الرافعي، نظراته النقدية ومعاركه الأدبية. فضاء آدم للنشر والتوزيع، 2020. ص 8.

15 – مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج3، ص 23.

16 – ديوان أبي القاسم الشابي، قدم له وشرحه، الأستاذ أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2005م، ص 70

17 – ديوان شيخ شعراء العربية أبي الطيب المتنبي، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، مكتبة مصر، ص 112.

18 – المرجع في اللغة العربية، ص 68، مقتطف من مجلة الثقافة العربية 1988م.

19 – أكتفي بشرح عبارة أو عبارتين من كل نص كي لا أصرف غاية هذه الورقة البحثية عن مسارها.

20 – نزار قباني، الرسم بالكلمات، منشورات بيروت، ص 181.

21 – البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بسلك التعليم الثانوي الإعدادي، مادة اللغة العربية، غشت 2009، مديرية المناهج والحياة المدرسية، ص 37.

22 – للتفصيل أكثر في الصعوبات التي يعيشها النص الأدبي وتدريسه بالمرحلة الثانوية، ينظر كتاب : " الأدب في خطر" ل تزفيطان طودورف، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الطبعة 1، 2007.

23 – عبد الجليل هنوش، مراجعات نقدية في الفكر والأدب واللغة،فضاء آدم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2020، ص 120.